

## التواصل الاجتماعي في حيّاتنا المعاصرة

### التواصل الاجتماعي في حيّاتنا المعاصرة

من الأمور المهمة في حيّة الإنسان التواصل مع الناس، والتفاعل الإيجابي معهم، وحضور مناسباً لهم الاجتماعية العامة في الأفراح والأتراح، ومشاركتهم في السراء والضراء؛ فهذا التواصل الاجتماعي مع الآخرين مصدر من مصادر السعادة والسرور والبهجة والارتياح.

ولأن الإنسان كائن اجتماعي بطبيعته؛ فلا يمكنه الاستغناء عن التواصل مع بني جنسه، فهو يأنس بهم، ويأنسون به، ولذا لا يمكن أن يشعر أي إنسان بالراحة والسعادة لو ترك يعيش لوحده حتى لو وُفرت كل المستلزمات الحياتية ووسائل الترفيه والراحة له، ولكنه حُرم من رؤية الآخرين والتواصل معهم.

وكلمة الإنسان مشتقّة من مادّة «أُنس» كما يقول اللغويون، فهو يأنس بمثله، ويشعر بالسعادة عندما يخالطهم ويجالسهم، والحاجة إلى الأُنس بالآخرين أمر بدّهي وفطري، ولا يتحقق ذلك إلا عبر التواصل معهم والتّالُف مع من يختلط بهم.

وسيرة أئمّة أهل الـبَيْتِ كَثيْرَتُ ذلك، فعن ياسر الخادم قال: «كَانَ الرَّضَا ذَلِكَانَ خَلَاجَمَعَ حَشَمَهُ» [11] كُلُّهُمْ عَنِدَهُ، الصَّغِيرُ وَالكَبِيرُ، فَبِعُجَادِهِمْ وَيَأْنَسُ بِهِمْ وَيُؤْنَسُهُمْ» [12] فاللأُنس بالآخرين حاجة فطرية لا غنى عنها لأي شخصية سوية وإن كان من عليه القوم.

وأما الإنسان المنعزل عن الناس، والمنطوي على ذاته فيعاني -غالباً- من اعتلالات نفسية واضطرابات باطنية وأمراض أخلاقية ومشاكل اجتماعية نتيجة انعزاله عن الآخرين، ويتحول بمرور الزمن إلى إنسان مستوحش ومتوحش؛ ما ينعكس سلباً على تصرفاته وسلوكياته وأخلاقياته.

إن تحلّي المرء بالدافعية الاجتماعية يحفز في شخصيته الاندفاع الإيجابي للتواصل مع الناس، والمشاركة معهم في القضايا الاجتماعية، والتعاون مع الآخرين في تحقيق الأهداف الاجتماعية العامة التي تخدم المجتمع.

وفي الماضي كانت الناس أكثر تواصلاً مع بعضهم بعضاً، ومع بساطة الحياة، وشطف العيش، فإنهم كانوا أشد تقاربًا، وأكثر انسجامًا. أما اليوم فقد ساهمت بعض التحولات الحديثة في مجتمعنا على انخفاض روح التواصل الاجتماعي لصالح الاهتمامات الفردية الخاصة، وأمسى كل واحد منا مشغولاً بحاله وعائلته، ودائماً ما نسمع كلمة "أنا مشغول"، للتبرير عن غيابه الاجتماعي أو عدم رغبته بالقيام بأي دور أو مسؤولية اجتماعية عامة.

ومن تلك التحولات التي فرضتها طبيعة الحياة المعاصرة: كثرة الأعمال والأشغال إما واقعاً أو تصوراً، والسكن في مناطق جديدة ومتباعدة عن سكنه الأصلي، والشعور بعدم الحاجة إلى الآخرين، والإدمان على وسائل التواصل الإلكتروني وغيرها من الأسباب التي أدت إلى انخفاض التواصل الاجتماعي بين الناس.

لكن كثرة الأعمال، أو رحمة الأولويات يجب ألا تحول بيننا وبين التواصل الاجتماعي مع الناس، كما أن السكن في مناطق جديدة يجب أن تدفع المرء للتعرف مع جيرانه الجدد، ويمكن معالجة الإدمان على وسائل التواصل الإلكتروني بتحديد وقت معين لها، والتواصل المباشر مع الناس في مختلف المناسبات.

وأما الشعور بعدم الحاجة إلى الناس فهو شعور خادع؛ فلا يمكن لأي أحد الاستغناء الكامل عن الآخرين، فهو يحتاج إليهم في حاجات مادية و حاجات معنوية متعددة؛ ولذا لما قالَ رجلٌ بحَضْرَةِ الإمام زين العابدين عليه السلام: **أَغْنَنِي عَنْ خَلْقِكَ!**

قال: **لَمْ يَسْ هَذَا، إِنَّمَا النَّاسُ بِالنَّاسِ، وَلَكِنْ قُلْ: الَّذِهْبُمْ أَغْنَنِي عن شرارـ خـلـقـكـ** [\[3\]](#).

فطبيعة الحياة تفرض على الإنسان اللجوء إلى الآخرين في جوانب مختلفة من حياته، فهو يحتاج الطبيب عندما يمرض، ويحتاج العالم في بيان الأحكام الشرعية، ويحتاج المهندس لتصميم خربطة لبناء منزله، ويحتاج العامل للقيام ببعض المهام الخدمية ...، وهكذا دواليك.

وفي الحاجات المعنوية والنفسية يحتاج إلى احترام الآخرين له، وأن يواسيه الناس في أتراحه ويهنؤونه في أتراحه ...، وعلى ذلك قس بقية الأمثلة.

وأما الشخص المصايب بالانعزال والانكفاء على نفسه فهو يعاني من الإصابة بمرض القطيعة والعزلة عن

الناس، وهو من الأمراض الاجتماعية الآخذه بالانتشار عند قسم من أبناء المجتمع، وهذا ما ينبغي الانتباه إليه، فهذا المرض إن استفحلا سيؤدي إلى أضرار كبيرة في بنية المجتمع وتماسكه.

وفي تعاليم الإسلام وتوصياته التأكيد المستمر على التواصل والتزاور والتعارف بين الناس، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِذَا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُّوبًا وَقَبَائِيلَ لِتَعْمَلَ فُؤُوا﴾ [4] والتعارف لا يتم إلا عبر التواصل والتدخل مع الناس، ولذا قال الإمام علي عليه السلام وهو على فراش الموت موصيًّا ولديه الحسن والحسين «عَلَيْكُمْ يَا بَنْيَ إِيمَانِي وَالْتَّوَاصُلُ وَالْتَّبَارُرُ وَالْتَّقَاطُعُ وَالْتَّدَابُرُ وَالْتَّفَرُّقُ» [5] ، وعنده: «عَلَيْكُمْ بِالْتَّوَاصُلِ وَالْمُوافَقَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْمُقَاطَعَةِ وَالْمُهَاجَرَةِ» [6] .

ووصية الإمام لأولاده وهو على فراش الموت بهذه الوصية الاجتماعية يؤكد أشد التأكيد على أهمية التواصل مع الآخرين في حياة الإنسان، وينهى أشد النهي عن التقاطع والتنافر والانعزال.

#### من مصاديق التواصل الاجتماعي

للتواصل الاجتماعي مع الناس مصاديق وعلامات، ومنها: صلة الأرحام والأقارب؛ فهو مصدق بارز من مصاديق التواصل الاجتماعي، فالإنسان دائم التواصل والتزاور مع أرحامه هو إنساني اجتماعي، وأما فاطع الرحم فغالبًا ما يكون منخفض الروح الاجتماعية، ويسهل إلى الانعزال والانكفاء على الذات.

ولصلة الأرحام فوائد عديدة، ومنها: تنمية التواصل بين أفراد الأسرة، وتبني التآلف بين الأرحام والأقارب، وتنمية العلاقة بالأهل والعائلة، وزيادة المحبة والمودة، واجتماع الشمل، وأداء الحقوق، وقد روى عن رسول الله ﷺ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقَرَابَةُ مَثْرَأً فِي الْمَالِ، مَحَبَّةً فِي الْأَهْلِ، مَنْسَأَةً فِي الْأَجْلِ» [7] ، وعن الإمام علي عليه السلام «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوْجِيبُ الْمَحَبَّةِ» [8] .

ومن مصاديق وعلامات التواصل الاجتماعي أيضًا: هو التزاور بين الناس، وزيارة الآخرين بين الفينة والأخرى في مجالسهم وديوانياً لهم، خصوصًا في المناسبات الدينية كالاعياد والمناسبات الاجتماعية العامة كالزواج.

وللزيارة فوائد كثيرة؛ فهي توجب المودة والمحبة، وتنمي العلاقات الاجتماعية، وتنمي أواصر الأخوة

والصدقة. روي عن رسول الله **«الزيارة تُنْدِتُ المَوَدَّةَ»** [101].

ومن الأمور المهمة زيارة كبار السن، فهم يأنسون بزيارة أولادهم وأحفادهم وأرحامهم إليهم، وأما تركهم لوحدهم وعدم تفقد أحوالهم فيوحشهم، ويترك جروحًا غائرة لا تندمل في قلوبهم بسهولة.

ومن المحزن حقًا ما نسمعه من تصرفات غير لائقة من قبل البعض، حيث يذهبون بكثير السن إلى دار العجزة ويضعونه عندهم، ثم يتركون زيارته أو السؤال عنه أو الاهتمام بأحواله؛ ما يسبب له آلامًا نفسية شديدة.

وإذا كانت زيارة الآخرين أمرًا راجحًا في نفسه؛ فمن الأولى زيارة الأرحام والأقارب، وخصوصًا كبار السن منهم.

ومن مصاديق التوابل الاجتماعي أيضًا: المشاركة الحضورية في أفراد الآخرين كالزواج، وفي أتراهم كمود قريب لهم، أو لا أقل مشاركتهم عبر الوسائل الحديثة كالهاتف النقال، أو تطبيقات التواصل الاجتماعي.

وكذا ينبغي الحضور الاجتماعي في المناسبات العامة كالفعاليات الاجتماعية والعلمية والتطوعية والرياضية وغيرها من المناشط الاجتماعية التي تقام في المجتمع.

وخلصة الكلام: التواصل مع الآخرين له فوائد جمة، ويفتح للإنسان أبوابًا مففلة، وينير له آفاقًا واسعة، كما أن الإنسان الاجتماعي يحوز على محبة الناس واحترامهم وتقديرهم، ورد عن الإمام علي: «خالطوا الناس مُخالطةً إن مِتَّمْ مَعَهَا بَكَّوا عَلَيْكُمْ، وإن عَشْتُمْ (غَبَّتُمْ) حَذَّرُوا إلَيْكُمْ» [111].

إن علينا أن نحيي هذه القيمة الدينية والإنسانية بعدما تراجعت عما كانت عليه في الماضي بسبب التحولات المتسارعة في حياتنا المعاصرة، وأن ننمي حالة التواصل والتزاور بين أفراد المجتمع، وأن نخصص وقتًا من برامجنا اليومي للتواصل الاجتماعي مع الناس.

وعلى المرء اغتنام فرصة التواصل مع الآخرين لتنمية التآلف والانسجام معهم، فمن صفات المؤمن الألفة والتآلف، لما روي عن رسول الله **«الْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ»** [122].

